

مقدمة المترجم

يبحث هذا الكتاب الفذ الفريد مدى تأثير الوحي والعقلانية في الحصول على المعرفة والوصول إلى الحق في مجالات الحياة المتباينة. لذلك كان لا بد أن يغطي العديد من الموضوعات الإنسانية.. الاجتماعية، والسياسية، والأخلاقية، والفلسفية، والتاريخية، والعلمية؛ ويناقش الفلسفات المتعددة، كالفلسفة الأوربية، واليونانية، والإسلامية؛ ويبحث في ديانات الإنسان المختلفة، كالهندوسية، والبوذية، والكونفوشيوسية، والطاوية، والزرداشتية، وديانات السكان الأصليين في أستراليا؛ ويتعرض للعلوم الطبيعية، والكيميائية، والجيولوجية، والطبية، والفلكية؛ ويجول في المملكة الحيوانية والنباتية، ويتناول أيضا الحشرات وتشريحها، وخاصة تلك التي ذكرها القرآن المجيد.. كالنحل والعنكبوت والبعوض. ولكل من هذه الموضوعات ألفاظها وتعبيراتها الخاصة بها، مما يجعل مهمة المترجم شبه مستحيلة، كما أشار إلى ذلك المؤلف نفسه في مقدمته.. حين عهد إلى بعض الأشخاص مهمة ترجمة أصول كتابه التي كتبها باللغة الأردية إلى اللغة الإنجليزية، فلم يستطع أحد أن يؤدي حقها.. مما اضطره إلى كتابته بالإنجليزية بنفسه.

وبعد صدور الكتاب.. وما علمت من مؤلفه العظيم رحمه الله تعالى عن مدى أهميته والجهد الكبير الذي بذله فيه.. راودتني رغبة في ترجمته إلى لغة الضاد حتى تتحقق الفائدة المتوخاة لقراء العربية. ولم أكن قد قرأت الكتاب بالطبع حين تقدمت طالبا أن أنال شرف القيام بهذه الترجمة، وتفضل حضرته مشكورا فأولاني هذا الشرف. وبعد أن قمت بترجمة بعض الصفحات.. تبين لي أنني اقتحمت عقبة لست أهلا لها، وتقدمت لحمل أمانة أكبر من أن أطيق ثقلها، وشعرت أنني أقف كقزم مقعد صغير.. أمام جبل شاهق كبير، يريد أن يتسلق أحجاره وأزقته،

ويتبغي أن يصل سريعا إلى قمته.

غير أنه لم يكن هناك من مجال للتراجع بعد أن طلبت بنفسني نوال شرف الترجمة، ولم يكن من اللائق أن أنسحب بعد أن قبلت المهمة، فلم يبق أمامي من سبيل سوى أن أتوجه إلى الله تعالى بالدعاء وطلب التوفيق، وكان مما شد من أزرني أن مؤلف الكتاب نفسه قد دعا لي بالتوفيق.

لذلك فإني أطلب من القارئ العذر والمعدرة، إذا رأى أنني لم أحسن الترجمة. فما أسأت فيه فهو من جهلي وقلة خبرتي، وما أخطأت التعبير عنه فهو من ضعفي وقلة حيلتي. وأما ما أحسنت فيه فكان بتوفيق من الله تعالى، واشتراك إخوة كرام وأستاذة أفاضل.. من علماء اللغة وخبراء اللسان، ومعهم الأستاذ عبد المجيد عامر.. قاموا جميعا بجهد كبير وكرام، رائع وعظيم، ليس فقط في مراجعة الترجمة وتصحيح ما أخطأت فيه، وتعديل ما أسأت التعبير عنه، بالإضافة إلى حسن اختيار اللفظ الأعذب، وانتقاء المعنى الأنسب، وانتخاب التعبير الأصوب.. بل أيضا في تدقيق لغتي العربية التي اشتدت معاناتها، لأني كثيرا ما كنت أنكر عليها قواعدها، وأغمطها حقوقها التي اتفق عليها أدباؤها، وأقرأها جهابذتها وعلمائها، إلى أن تفضل أساتذتي الكرام فأعادوا للغة العربية جميع حقوقها وقواعدها الصحيحة، وردوا إليها رونقها وروعته المليحة، فجزاهم الله عني حسن الجزاء، وأجزل لهم في الدنيا والآخرة خير العطاء.

بقي أن أقول إن الترجمة هي محاولة لنقل المعنى الذي يعبر عنه الكاتب بلغة ما إلى اللغة التي يعرفها القارئ. وعند ترجمة هذا الكتاب.. لم يكن الأمر مجرد ترجمة ألفاظ وكلمات، بل ترجمة معان في روعة وعمق البحر، وأفكار في جمال وسحر الفجر، وتعبيرات في صعوبة الصبر.. بالإضافة إلى ما تقتضيه صياغة الترجمة في أسلوب عربي كى لا يشعر القارئ بأجنبيته. ويقتضي ذلك أحيانا إضافة بعض الكلمات التي تزيد في رونق الأسلوب العربي، بدون أن تُغير المعنى الذي يريده الكاتب. ولتقديم مثل للقارئ..

نفترض أن هناك جملة تقول:

إن المتحدث استعان ببعض الكلمات to improve his speech

فيمكن ترجمة الكلمات الإنجليزية بإحدى الطرق التالية:

- (١) لتحسين حديثه
 - (٢) ليحسن من شأن حديثه
 - (٣) لكي يُضفي على حديثه حلاوة ويكسبه طلاوة
- كذلك قد يحتاج الأمر إلى إضافة بعض الكلمات لشرح ما يود الكاتب أن يقوله، رغم أن هذه الكلمات لم ترد في النص المترجم. فمثلاً إذا كانت هناك جملة تقول:

إن المتحدث استعان ببعض الأمثلة to explain himself

فيمكن ترجمة الكلمات الإنجليزية بإحدى الطرق التالية:

- ١- ليشرح قوله
 - ٢- ليشرح ما كان يقصده
 - ٣- ليشرح مكنونات نفسه ويعبر عما في وجدانه
- قد تختلف وجهات النظر لدى المترجمين والقراء، ولكنني أفضل الطريقة الثالثة، في الحالتين. وهذا ما حاولت قدر الإمكان أن أقدمه للقارئ، لكي يشعر دوماً أنه يقرأ كتاباً كأنه كتب أصلاً باللغة العربية. فإن أصبت فأرجو من القارئ حسن الدعاء، وإن أخطأت فأسأله التجاوز عن الأخطاء. وأسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل الذي أدّيته بإخلاص ووفاء، وأن يجعله بفضلته في ميزان الحسنات يوم الجزاء، إنه سبحانه رب كريم معطاء، ذو الفضل والإحسان وذو الآلاء.

مصطفى ثابت